النشـــــــرة

تصـــدرها مطـــرانية الـــروم الأرثوذكـــس في بـــيروت

العدد ٧ / ٢٠٠١

الأحد ١٨ شباط

أحد مرفع اللحم

تذكار أبينا الجليل في القديسين

لاون بابا رومية

اللحن الثاني

إنجيل السَحَر الثاني

الـــرســـالـــة (١ كورنتس ٨ : ٨ ١٣)

الإنـــجـــيـــل (متى ٢٥ : ٣١-٤٦)

+ دستور الإيمان

«وصلب عنا على عهد بيلاطس البنطي»

«لأن محبة المسيح تحصرنا، إذ نحن نحسب هذا انه إن كان واحد قد مـــات لأجـــل الجميع فالجميع إذاً ماتوا، وهو مات لأجل الجميع كي يعيش الأحياء فيما بعد لا لأنفسهم بـــل للذي مات لأجلهم وقام... لأنه (أي الله) جعل الذي (أي يسوع) لم يعرف خطيئة خطيئة لأجلنا لنصير نحن برًّا لله فيه» (٢كور ٥: ١٤و١٥و٢١).

خطئ الإنسان وابتعد طوعًا بإرادته عن الله وانكسرت العلاقة بين الخالق والمخلـوق. محبة الله لم تشأ أن يبقى الإنسان بعيدًا عن الملكوت فأرسل ابنه الوحيـــد متجســدًا ليخلّــص

الإنسان. وهذا الخلاص تحقق عندما قبل يسوع الذي لم يخطئ أبدًا، ولم ينوجد في فمه غش، أن يُصلب عنا على خشبة ويتألم عنا ويُقبر، مسمِّرًا الخطيئة على الصليب ودافنًا إياها. وهكذا يقول دستور الإيمان: «... وصُلب عنا على عهد بيلاطس البنطي وتألم وقُبر».

لقد أوضح الأنبياء في العهد القديم طبيعة مهمة المسيح المخلّص المنتظر «روح السيد الرب علي لأن الرب مسحني لأبشِّر المساكين، أرسلني لأعصب منكسري القلوب... لأعطيهم جمالاً عوضًا عن الرماد ودهن فرحٍ عوضًا عن النوح ورداء تسبيح عوضًا عن الروح اليائسة» (اش ٦١: ١-٣). «أحزاننا حملها، وأوجاعنا تحملها، «وهو مجروح لأجل معاصينا، مسحوق لأجل آثامنا، تأديب سلامنا عليه وبجُبُره (جُبُر =جرح لم يلتئم ولم يبرأ) شفينا. كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه، والرب وضع عليه إثم جميعنا» (اش ٥٣: ٤-٦). ولكنهم أوضحوا أيضًا ان تحقيق المسيَّا لمهمته يكون عبر صيرورته «رجل الأوجاع»: «محتقَرٌ ومخذولٌ من الناس، رجل أوجاع ومختبر الحزن وكمستَّر عنه وجوهنا محتقرٌ فلم نعتّد به... ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه، كشاة تُساق إلى الذبح وكنعجة صامتةٌ أمام جازيها فلم يفتح فاه... وجعل مع الأشرار قبره ومع غني عند موته. على أنه لم يعمل ظلمًا ولم يكن في فمه غش. لذلك أَقسِمُ بين الأعزاء ومع العظماء يقسم غنيمة من أجل انه سكب للموت نفسه وأُحصي مع أثمة وهو حمل خطية كثيرين وشفع في المذنبين» (اش ٥٣). لاحقًا، عندما اعتمد الرب يسوع على يد يوحنا المعمدان، شهد له هذا بأن «هوذا حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم» (يو ١: ٢٩). ثم ابتدأ يسوع بشارته وبعدما أيقن التلاميذ ان ما قاله أشعياء النبي انطبق على يسوع، «أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا» (متى ٨: ١٧)، أعلنوا صراحة على لسان الرسول بطرس «أنت **هو المسيح** ابن الله الحي» (متى ١٦:١٦). «ومن ذلك الوقت (أي من لحظة اعترافهم انه المسيح) ابتدأ يسوع يُظهر لتلاميذه أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم **ويتألم كثيرًا** من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة **ويُقتل** وفي اليوم الثالث يقوم» (متى ١٦: ٢١). بعد ذلك بستة أيام يتجلّى الرب يسوع أمام تلاميذه على طور ثابور والله الآب يشهد أن «هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت» (متى ١٧: ٥)، أما يسوع فيقول لهم ان «ابن الإنسان سوف يُسلَّم إلى الناس فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم» (متى ١٧: ٢٣). إذًا مهمة المسيح الخلاصية تتوّج على الصليب. لقد تجسد لأجل الصليب: «ولكن لأجل هذا أتيت إلى هذه الساعة» (يو ١٢: ٢٧).

ولما أتت الساعة اجتمعت قوى الشر على يسوع، «قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معًا على الرب وعلى مسيحه» (مز ٢: ٢). كانوا يفتشون عن سبب ليمسكوا به ويقتلوه، خاصة بعدما أقام العازر وتبعه الكثيرون. أخيرًا وجدوا الحجة: «فإنك وأنت إنسان تجعل

نفسك إلهًا» (يو ١٠: ٣٣). لكن السبب الأعمق والأهم ان يسوع علّمهم الحق ولم يقبلوا الحق، كشف عنادهم ورياءهم وخطيئتهم.

موت يسوع على الصليب كان على يد رؤساء الكهنة والقادة السياسيين، عندما كان قيافا رئيس كهنة، وفي ظل حكم بيلاطس البنطي. ذِكرُ بيلاطس البنطي في دستور الإيمان مهم، لأنه يشدد أولاً على تاريخية وحقيقة الأحداث التي حققت خلاص العالم والإنسان. ثانيًا، في شخص بيلاطس تجسَّد الانتصار «المؤقت» للشر، أو بكلام آخر، بـه تجسد انصياع البشرية للشر، وتفضيلها، الشر على الخير: «لكم أعين ولا تبصرون» (مر ٨: ١٨). لقد علم بيلاطس ببراءة يسوع، «لست أجد فيه علة ومن هذا الوقت كان يطلب أن يطلقه» (يو ١٩: ٦و١٢). لكنه لم يحرر يسوع، لأنه فضل أن يرضي الجموع الصارخة «اصلبه» بتحريض من رؤساء الكهنة. رغم سلطانه المعطى له «من فوق» تصرف بيلاطس بحرية عكس ضميره وضد الحق والنور. صورة بيلاطس هي صورة كل واحد منا، لأننا في كل يوم ننكر الحق لنختار الباطل. إذًا، في كل مرة نذكر بيلاطس البنطي في دستور الإيمان، نتذكر الخلاص الذي حققه لنا حكم بيلاطس، ونوضع أمام مسؤوليتنا لنختار بين خلاص يسوع وظلمة الشرير.

لقد تألم الرب يسوع كإنسان على الصليب طوعًا. أطاع الآب لكي يُظهر حب الآب للخليقة. صار خطيئة من أجلنا: «لأنه جعل الذي لم يعرف خطيئة خطيئة لأجلنا لنصير نحن برًّا لله فيه» (٢كور ٥: ٢١). لقد تنازل إلى أقصى الدرجات ومن أعماق هذا التنازل أنبع ارتقاء الإنسان نحو الله. هذا هو جوهر تألم يسوع على الصليب وسر الفداء، عندما اشترانا يسوع بدمه (١كو ٦: ٢٠)، وهذا ما سنتكلّم عليه لاحقًا.

+ أحد إنجيل الدينونة

يُسمى الأحد هذا الذي نحن فيه أحد الدينونة، وفيه يُقرأ المقطع الإنجيلي الذي يتكلّم عن الدينونة.

الرب قال أنه أتى إلى العالم لا ليدينه بل ليخلّصه. مع هذا، ومنذ ذلك الوقت، قد ابتدأت دينونة العالم، ليس فقط دينونة العالم بل دينونة كل واحدٍ منا، لأن وجه المسيح المخلّص يقف أمام ضمائرنا كدينونة حيَّة. الله لا يشبه القاضي الأرضي. هو لا يحكم علينا ولا يديننا بصورة لا إنسانية أو استبدادية بحسب حرفية الناموس. لا، محبة الله تأتي إلينا كلنا، تأتي إلى كل الجنس البشري وإلى كل واحد منا فرديًّا، وعندما تأتي، شيء ما يحصل لنا، لكل شخص منا بمفرده وبطريقة فريدة.

عندما يثور بركان، صخور حارة مشتعلة تتطاير من الجبل الملتهب. الحمم تسيل في جدول يتوهج. وفجأة في ممرها نجد نهرًا. الصخور الحمراء بالنار تسقط في النهر، وانفجارٌ ما يحدث. كل المياه تتبخر وبعض الأحيان بطرفة عين.

هذا الأمر يشبه محبة الله التي، عندما تقترب من كل منا، تلامس فجأة دنس النفس البكماء والصماء، وانفجار أكيد يحصل، ليس لأن الله فقد طبعه ــ هذا يحدث فقط مع البشر ــ بل لأن الطاهر التقى بغير الطاهر والعديم الخطيئة بالخاطئ، والعاصفة هي النتيجة.

الدينونة ابتدأت منذ اللحظة التي فيها دعا الرب الجميع، عندما دعانا كلنا إلى ملكوته ولكننا لم نذهب بسبب التهاون واللامبالاة والغرور، لأننا اعتبرنا أن هناك أمرًا أكثر أهمية من ملكوت الله، أكثر أهمية من السكن بقرب الله في محبته وبحسب وصاياه. لكنه قال «توبوا فقد اقترب ملكوت الله». إنه يتوجه إلينا اليوم أيضًا قائلاً: «توبوا، فقد اقترب...» ويعني هذا القول أن دينونة هذا العالم قريبة.

هنا نحاول أن نتذكر الماضي. كيف دُمرت الهياكل وبلاد بأكملها زالت لأنها ابتعدت عن الله وعصت أوامره. هذا يحتاج إلى وقت وقد نظن أن البشر في العصور الغابرة هم وحدهم الخطأة.

غالبًا ما يسأل الناس «لماذا سمح الله بهذا العدد من الأعمال الوحشية والشرور؟.

كل ما رأيناه في أيامنا ــ من الإستبداد الوحشي والتمرد والرعب والإجرام والخيانة ومعسكرات الإعتقال والفساد بين الشعوب ــ عرفه الرب ورآه قبلاً. الكتاب المقدس أشار إلى أين تقود الطريق المعوجة الإنسان. مع هذا، سلك البشر السبيل غير المستقيم والآن يحصدون ما زرعوا.

هذه أيضًا دينونة الله. وأكرر ليست محكمة جزائية ولا حكمًا إنما النظام الأخلاقي الذي وضعه الرب لكل الأزمنة ولكل فرد. الناس اختبروا أموراً رهيبة وصعبة وذلك لأنهم تركوا السبيل المستقيم.

دعونا الآن نفكر قليلاً بأنفسنا. عندما يقول الرب «الآن دينونة هذا العالم» يعني أن هذه الدينونة يخضع لها كل منا. محبته تأتي إلينا قائلة «عيشوا معي، إعملوا، إبتهجوا، صلّوا وكونوا فاعلين في الحياة. إن كنتم مسنين، ساعدوا من تستطيعون، عيشوا بواسطة الصلاة. إن كنتم شبابًا، إستغلوا كل قواكم لتخدموا الناس الآخرين. «ما فعلتم بإخوتي فعلتم بي أيضًا». نحيا بقرب الرب بالصلاة وبمعرفة كلمة الله وبمحبة جمال العالم والحياة البشرية وبإضافة كل ما هو صالح في عالم شرير وكل ما هو منير في عالم مظلم.

وبالرغم من هذا غالبًا ما نقع، فتتعثر نفوسنا، نسبح مع التيار معتقدين أننا نعمل مـــا هو طبيعي. في الواقع الحالة مملة، باهتة اللون، مضجرة، متعبة، وفي آخر المطـــاف أثيمـــة طالما نحن مبتعدون عن الله. وبما أننا بعيدون عنه حلّت دينونتنا وأصبحنا ضعفاء. في كـــل يوم نحن نخضع لدينونة الله. عندما تختار كيف تتصرف أكان في اتجاه اليمين أو في اتجـــاه اليسار هذه دينونة الله. عندما يستيقظ ضميرك، هذه دينونة الله. عندما يكون مـــن واجبـــك أن تسلك عكس متطلبات شهواتك، هذه دينونة الله. أخيرًا عندما يكون عليك أن تتحمل الامتحـــان بالتجارب، هذه دينونة الله ــ وإنها دينونة مباركة، رحومة لأنه يريد أن يشكلنا ويجعلنا أولاده ولا يريدنا أن نبقى في الذل والهوان مهترين ونتنين كالعشب الساقط النتن أو كعشب الخريـف المبعثر على الأرض الذي لا يحتاجه أحد، لأن كل نفس هي عزيزة في عيني الرب ويشاء أن يأتي بها إلى ملكوته بدءاً من هذه الحياة. ولككنا نقاومه ونفضّل أن نحيا في خطايانـــا التـــي ترمي في نفوسنا الظلمة والملل. وعندما نلتقيه نريد أن نهرب منه.

إني أتذكر كلمات القديس أوغسطينوس في كتابه «الإعترافات» حيث يقول إنه عندمـــا كان وثنيًا وبدأ يرجع إلى الله بكل قلبه كان يصلّي «خلّصني يا رب خلّصني ولكن ليس اليـــوم بل غدًا، اليوم أريد أن أعيش كما من قبل». إننا لا نختلف عنه. نريد أن نحيا بدون أن نتغيّر، ولكن الحياة قصيرة. لنفكر، حالاً تأتي ساعتنا وتأتي أيضًا دينونتنا. ما نفع التفكير بنهاية العالم عندما تحل نهاية أيامنا وندعى إليه، إلى الدينونة؟ كل ما أغرانا وجعلنا سعداء في هذه الحيـــاة سيختفي. الطموح والكبرياء والمظهر الخارجي وكل نوع من الغرور العـــالمي. كـــل هـــذه تضمحل وتذهب كما يحلّ بالورق عندما ينفخه الريح، وسنبقى عراة أمام الله. كل ما يبقى هـو ما جُمع في النفوس.

ماذا جمعنا في نفوسنا؟ لا شيء. لا أفكار حسنة ولا أعمال جيدة. كيف نســـتطيع أن نأتي إليه فيما لا سبيل لنا للوصول إليه وقد خسرنا تدريجيًا كل شيء في مجرى الحياة. عندما نرى هذه الحقيقة ونشعر بدينونة ضمائرنا الصارمة، علينا أنت وأنا أن نصلّي اليوم إلى الرب من أجل الرحمة: «يا رب ارحمنا نحن الخطأة لا بحسب استحقاقنا وليس لأننا حصلنا عليـــه بأعمالنا (ما هي الأعمال التي نستطيع أن نفتخر بها؟) ولكن فقط بسبب رحمتك أيها المســـيح مخلّصنا لأنك أتيت إلينا لتخلّصنا نحن الدنسين الكسالى الأنانيين المغلّفين بغبار الحيـــاة. إنـــك لمثل هؤلاء أتيت». إذا نظرنا إلى أيقونة «نزول المخلّص إلى الجحيم» يظهر لنا دائمًا نـــازلاً إلى الجحيم. ينزل إلى جحيم حياتنا ونفوسنا لكي يحرّرنا منها. هذا هو خلاصنا الوحيد وكمـــا يقول كاتب المزامير «رأت كل أقاصي الأرض خلاص إلهنا» (٩٨: ٣).

+ تأمل

كنت صائمًا، وكنت فوق جبل وكنت أقدم شكري لله، من أجل الأفعال التي فعلها من أجلي، فرأيت الراعي يجلس إلى جانبي وقد بادرني قائلاً: إني سأعلّمك معنى الصيام الكامل المقبول لدى الرب.

إليك مَثَلْ أسوقه لك عن الصوم. كان لإنسان حقل وعبيد وقد زرع قسمًا منه كرمًا واختار له عبدًا أمينًا يحترمه ولما دعاه قال له: خذ هذا الحقل الذي غرسته وسيّجه حتى أعود ولا تفعل غير ذلك، حافظ على وصيتي فتحيا حياة سعيدة في بيتي. ثم سافر سيد الحقل إلى مكان بعيد. فأخذ العبد بعد سفر سيده بتسييج الحقل وعندما أنهى عمله رأى ان الحقل ملىء بالأشواك. ففكر في نفسه وقال: ها اني قد أتممت العمل كما أمرني سيدي فلماذا لا أفلح الكرم وأنقيه من الأعشاب ليصبح جميل المنظر وتزداد ثماره؟ وبالفعل فلح العبد الكرم واقتلع منه الأشواك الخبيثة فصار الكرم جميلاً خاليًا من الأعشاب التي كانت تعيق نموه. بعد مضي وقت طويل عاد سيد الحقل وذهب لزيارة أرضه فوجد ان الكرم لم يكن مسيّجًا فقط بل ومفلوحًا فلاحة حسنة ومنقى من الأعشاب المضرة والدوالي مليئة بالعناقيد، فدهش من عمل عبده واعجب. فاستدعى ابنه الحبيب ووريثه وكل المستشارين أصدقائه وأخبرهم بالأمر الذي أمر عبده به وبالأفعال التي رأى عبده قد فعلها بعد عودته فهنأ هؤلاء العبد على الشهادة التي نالها من سيده. وقال لهم السيد: لقد وعدت هذا العبد بحريته إذا أتم أوامري إلا أنه لم يتمم أوامري فحسب بل عمل أكثر بكثير مما أمرته به لذلك سأجعله، مكافأة على أعماله، شريكًا مساويًا لابني يرث معه لأنه يملك تفكيرًا صائبًا وقد حقق هذا التفكير ولم يهمله. وقد وافق ابن السيد على فكرة والده بجعل العبد شريكًا مساويًا في الإرث. وبعد أيام قليلة صنع سيده عشاء وأرسل له الكثير من الأطعمة فلم يحتفظ العبد إلا بما احتاجه ووزع الباقي على رفقائه العبيد. فقبل هؤلاء الأطعمة شاكرين وصلّوا من أجله وطلبوا أن تزداد حظوة هذا العبد عند سيده. عندما علم السيد بما فعل عبده فرح فرحًا عظيمًا ودعا أصدقاءه وابنه وأبلغهم ما فعله العبد وكيف تصرف بالأطعمة التي أرسلها له. فوافقوا السيد على تصميمه بجعل العبد وريثًا مساويًا لابنه.